قسم اللغة العربية/كلية الآداب/المستنصرية

المرحلة الثانية/ البلاغة العربية/الدراسات الصباحية

المحاضرة (٣)/ البيان لغة واصطلاحا وتعريفه عند الجاحظ

الأستاذ الدكتور/ عبد الباقي الخزرجي

المعنى اللغوي لكلمة البيان:

لفظة البيان لغة مأخوذة من الجذر اللغوي (ب ي ن) وله معنيان المعنى الأول: هو الكشف والظهور، والمعنى الثاني هو البعد والاختفاء، فنقول: بانت معالم المدينة أي انكشفت وظهرت للعيان، ونقول: بان الرجل أي: اختفى عن النظر.

ولفظة البيان يمكن لها أن تدل على المعنين مرة واحده وعلى أساس ما يظهر لك فبالضرورة يكون قد اختفى عن غيرك والعكس صحيح. يقول الشاعر المخضرم كعب بن زهير في مطلع قصيدته البردة:

بانت سعادٌ فقلبي اليوم متبولٌ * متيمٌ إثرها لم يفْدَ مكبولٌ

والبيان ما يبين به الشيء من الدلالة وغيرها، وبان الشيء: اتضح فهو بيّن واستبان الشيء: ظهر. والبيان الفصاحة واللسن، كلام بيّنٌ: فصيحُ، والبيان: الإفصاحٌ مع ذكاء، والبين من الرجال: الفصيح والسمح اللسان، وفلان أبين من فلان: أي أفصح من وأوضح كلاما، والبيان اظهار المقصود بأبلغ لفظ وهو من حسن الفهم وذكاء القلب مع اللسن، وأصله الكشف والظهور.

المعنى الاصطلاحي للبيان

هو علم يُعرفُ به إيرادٌ المعنى الواحد بتراكيب مختلفة في وضوح الدلالة على المعنى المراد، بأن تكون دلالة بعضها أجلى من بعض.

وعلم البيان هو الذي يحترز به عن التعقيد المعنوي؛ وسمي علم البيان لأنه له مزيد تعلق بالوضوح والبيان.

وكثير من البلاغيين يسّمي علوم البلاغة الثلاثة المعاني والبيان والبديع – علم البيان لتعلقها جميعا بالبيان؛ وهو المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير.

وبعضهم يسمي البيان والبديع (علم البيان) تغليبا للبيان المتبوع على البيان التابع. ويقع هذا كثيرا في كلام الزمخشري في (الكشاف)

الجاحظ (٢٥٥ت) وعلم البيان

كان الجاحظ من العلماء الذين اهتموا بموضوع البيان حتى سمّى أحد مؤلفاته كتاب (البيان والتبين) وهو من اعطانا تعريفا مانعا جامعا للبيان وذكر ذلك في كتابه البيان والتبين في الجزء الأول الصفحة السادسة والسبعين.

البيان: (هو اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع الى حقيقته ويهجم على محصوله كائنا ما كان)

وإنّ القائل يجري لغاية إنما هي الفهم والإفهام فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت المعنى فذلك هو البيان.

أصناف الدلالات عند الجاحظ

أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ عند الجاحظ هي خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد.

أولا: دلالة اللفظ

وهي من أجدى وسائل الإيضاح عما في النفس الإنسانية حتى قرنها الله سبحانه وتعالى بخلق الإنسان في قوله تعالى:((خلق الإنسان* علّمه البيان)). أي علّمهُ النطق والتعبير عما يختلج في ضميره من معان حسية وغير حسية.

ثانيا: دلالة الإشارة

وهي احدى وسائل التعبير وقد تنوب عن الخط وتغني عن اللفظ، وتكون باليد أو الرأس أو العين أو الحاجب أو الثوب أو السيف أو غير ذلك.

وقد ورد ذكر الإشارة في القرآن الكريم:

قوله تعالى((فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا))

وقوله تعالى((فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا))

أما ورود الإشارة في الشعر:

١- قول الشاعر: بينَ المحبّين سرٌّ ليسَ يُفشيه * قولُ ولا قلمُ للناس يحكيهِ
٢- وقول شاعر آخر:

أشارت بطرف العين خيفة أهلها * إشارة مذعورة ولم تتكلمِ

فأيقنتُ أنّ الطرفَ قد قال مرحبا * وأهلا وسهلا بالحبيب المتيمِ

٣- وقول الشاعر: أومَت بعينيها من الهودجِ * لولاك في ذاك العامِ لم أحججِ

ثالثا: دلالةٌ الخط

وهي من أعظم النعم بعد الأنعم الثلاثة نعمة الوجود ونعمة العقل ونعمة البيان، وقد ذكر القرآن الكريم ذلك:

في قوله تعالى :((اقرأ وربك الأكرم الذي علّم بالقلم علّم الإنسان ما لم يعلم)).

وبعد ذلك أقسم الله سبحانه وتعالى بالقلم في قوله تعالى((ن والقلمِ وما يسطرون))

وقال سيد البلغاء والمتكلمين الإمام علي ابن ابي طالب (عليه السلام) وكان يتجول ويتمشى في أسواق الكوفة ويتحدث مع الناس فرأى أحدهم فقال له:

(خُطَ حاجتك على الأرض إني أرى الضُّرَ في عينيك)

فكتب الرجلُ على الأرض إني فقير؛ فأعطاه حُلّته التي كان يرتديها، ففرح بها كثيرا وقال له شعرا:

كسوتني حلّةَ تُبلى سرائرها * ولسوف أكُّسيكَ من حُسن الثنا حُلالا

ان الثناءٌ ليُحيي ذكرَ صاحبهِ * كالغيث يحيي نداهٌ السهلَ والجبلا

رابعاَ: دلالة العقد

وهو الحساب من دون اللفظ والخط والدليل على فضيلته وعظيم قدر الانتفاع به قوله عز وجل في محكم كتابه العزيز:

((فالق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم))

أي جعلهما مفصحين عن الوقت وحسابه.

خامسا: دلالة النُّصبة

وهي الحال الناطقة من غير لفظٍ والمشيرة من غير يد مثل الأطلال والأثار عما هو صامت ولكنه ناطق من جهة الدلالة.

ومثال ذلك: قول أحد الحكماء:(سل الأرض من شقَ أنهارك؟ وغرس أشجارك؟ وجنى ثمارك؟ فإن لم تُجبك حوارا أجابتك اعتبارا)